المحاضرة 07

منهج الفكر العمراني في المدن الإسلامية

عرفت الحضارة العربية الإسلامية مستوى فكري متقدم جدا في مجال العمران وتخطيط وبناء المدن، فالمنهج العمراني الإسلامي كان رائدا في تلك الفترة التي عرفت فيها الأمم الأخرى تخلفا واضحا، وتضمنت كتب تاريخ الاجتماع السياسي توضيح الأسس والنظريات التي يجب على الحاكم المسلم إتباعها فيما يختص بسياسة العمران من أجل تقوية سياستهم ورسم المنهج الصحيح الذي يجب إتباعه، ومنه تبلور الفكر الإسلامي العمراني على مراحل تاريخية متتابعة، ومن أهم مصادر هذا الفكر كتاب العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي ربيع (272 ه) بعنوان "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال" الذي كتبه للخليفة المعتصم العباسي، وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي، وكتاب السياسة لإبن حزم، وكتاب المقدمة لإبن خلدون، وكتاب بدائع السلك في طبائع الملك لإبن الأزرق.

ومن أهم الأفكار التي جاءت في هذه الكتب تعكس مستوى الفكر العمراني في الاسلام ومنزلته لدى حكام المسلمين، فهي تحث الملك على أن يسعى الى توسيع البناء والعمران ومنه تطوير الاجتماع الانساني، وكذا توسيع التجارة والإكثار من الغراس وفرض الزكاة مما يحقق رخاء العيش وكثرة المال وتحقيق العدالة الاجتماعية، وان زيادة العمران يحقق الرخاء والترف، وقلتها تولد الضيق والبؤس، وأساس نجاح العمران هو العدل أولا والجباية ثانيا، والظلم يؤدي الى خراب العمران سواء كان بأخذ أموال البعض دون حق أو الاعتداء على أعراضهم وحرماتهم ودمائهم، فيكون بذلك خراب العمران سريعا.

وإهتم المسلمون ببناء المدن، حيث قام الخليفة المنصور بتتبع بناء مدينة بغداد، والخليفة العباسي ببناء المتوكلية، وحدد إبن الربيع في مؤلفاته شروط يجب مراعاتها في إختيار موقع بناء المدينة وهي:

- توفر الماء العذب - تقدير الطرق والشوارع.
- بناء جامع للصلاة يكون وسط المدينة. – تقدير الأسواق بحسب الحاجة.

- التمييز بين القبائل وعدم جمع الأضداد. – إحاطتها بسور لتأمينها من الأعداء.
- استخدام أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة.

فكانت المدن الإسلامية تتميز بتخطيط محكم تراعى فيه حاجات الناس وظروفهم، وتميزت بطابعها الجمالي والبديع، فقد اعتبر الخلفاء العباسيين والأمويين البناء والعمران أساس من أساسيات الحضارة، فركزوا على تشييد المدن والقصور الفخمة والطرق الواسعة (بناء مدينة بغداد سنة 762 م) وبناء المساجد والقبب والمآذن الجميلة (بناء قبة الصخرة من طرف الخليفة الأموي عبد المالك ابن مروان في 687 م) ، واهتموا ببناء الأسوار لتحصين المدن (سور بغداد بعلو حوالي 15 متر)، وتزيين المباني والجدران بالزخرفة والنقوش الفنية الراقية والفسيفساء في الحدائق والمساجد، وتعبيد الطرق داخل المدن وتزويدها بالإنارة العمومية في وقت كان الظلام والجهل يعم أوروبا في ذلك الوقت.

وتميزت المدن الاسلامية بغزارة وجمالية البناء العمراني، حيث كانت مدينة قرطبة مثلا مزينة بأكثر من 20.000 قصر ، و 900 مسجد، و 700 حمام ، ومدارس متعددة في الطب والهندسة والفنون ، وكذا المستشفيات ومراصد الفلك والحدائق والأسواق والمقابر وغيرها. كما تميزت معظم المدن الأسلامية الكبرى بطباعة الورق وكثرة المكتبات العامة والخاصة واتساع دائرة الكتابة والقراءة، ورواج صناعة الورق والتجليد، كما تميزت المدن الاسلامية بتشييد الجامعات بفارق زمني ثلاثة قرون قبل الغرب، جامعة بغداد في 830 م، جامعة القرويين 859 م، جامعة الأزهر 970 م.